Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد الثامن عشر || تاريخ الإصدار 2026-09-20

تفاعل الاستعداد الذاتي مع البصائر القرآنية

The Interaction of Self-Readiness with Quranic Insights

أحلام حسن كظيم

Ahlam Hassan Kazim

أ. د. خولة مهدي شاكر الجراح

Prof. Dr. Khawla Mahdi Shaker Al-Jarrah

جامعة الكوفة – كلية الفقه – قسم علوم القرآن والحديث

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61833

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن كيفية تأثير الهيئة النفسية والروحية للإنسان (الاستعداد الذاتي) في مدى استقباله وفهمه للحقائق والتوجهات القرآنية (البصائر)، وكيف يثمر هذا التفاعل في صياغة السلوك البشري وتحقيق الهداية, وتأتي أهمية البحث تكمن أهمية البحث في تفاعل الاستعداد الذاتي مع البصائر القرآنية في تقديم فهم عميق لكيفية تحقيق أقصى استفادة هداية وعملية من النص القرآني، حيث يربط بين قابليّة الإنسان الداخلية (الاستعداد) والأنوار والمعارف الإلهية (البصائر). وتكمن مشكلة البحث في الاجابة عن التساؤل الذي مفاده كيف يتم تفاعل الاستعداد الذاتي مع البصائر القرآنية؟ واتبعت الباحثة منهج البحث الوصفي التحليلي لملائمته وطبيعة البحث , وتوصل البحث الى العديد من النتائج من أهمها إنّ الاستعداد الذاتي (الاستعداد النفسي والمعرفي والوجداني) نقطة الانطلاق الأساسية لتحقيق الاستبصار (فهم الذات وإدراك العلاقات العميقة للأمور) فالاستعداد يخلق "البيئة الخصبة" للوعي، بينما يمثل الاستبصار "النتيجة النهائية" المتمثلة في نضج الأفكار وحسن التصرف.

الكلمات المفتاحية: تفاعل , الاستعداد الذاتي, البصائر القرآنية.

Abstract:

This research aims to explore how a person’s psychological and spiritual makeup—specifically their innate disposition—influences their reception and comprehension of Quranic truths and orientations (insights). It further examines how this interaction shapes human behavior and facilitates spiritual guidance. The significance of the study lies in its analysis of the interplay between this innate disposition and Quranic insights, offering a profound understanding of how to derive maximum guidance and practical benefit from the Quranic text ...between a person's internal capacity (readiness) and divine lights and forms of knowledge (insights). The research problem lies in answering the question: How does this innate readiness interact with Quranic insights? The researcher adopted a descriptive-analytical approach, as it was suited to the nature of the study. The research yielded several findings, most notably that innate readiness—comprising psychological, cognitive, and affective dimensions—serves as the fundamental starting point for achieving Insight—defined as self-understanding and the perception of the deeper connections between things—represents the culmination of a process: preparedness creates the "fertile ground" for awareness, whereas insight constitutes the "final outcome," manifested in the maturation of ideas and sound conduct.

Keywords: Interaction, self-preparedness, Quranic insights.

المقدمة:

في تاريخنا الإسلامي صفحات ناصعة مشرقة، نشرت ضياءها يميناً وشمالا، فاستضاءت بها الدنيا، ولا تزال هذه الصفحات باقية، وستبقى، حتى يأتي يوم الله الموعود.

تفاعل الاستعداد الذاتي مع البصائر القرآنية هو عملية (تزكية وتدبر)، حيث تتجاوب النفس الإنسانية مع أنوار الوحي، وتنتقل من مجرد القراءة العابرة إلى الفهم العميق والعمل التطبيقي, يُشكل هذا التفاعل جوهر التطوير الذاتي وبناء الوعي, وتحقيق أقصى درجات الانتفاع من هذا التفاعل.

وعليه نقسم البحث على تمهيد تناول مفهوم االبصائر , ومبحثين البمبحث الأول : الاستعداد الذاتي (التهيئة النفسية والمعرفية). وأما المبحث الثاني: التفاعل مع البصائر القرآنية (الاستجابة والتطبيق). ومن ثم الخاتمة ونتائج البحث وقائمة الهوامش والمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث .

تمهيد : مفهوم البصائر

البصائر لغة: مفردها بَصِيرة البَصِيرة لغةً: ((عقيدة القلب، قال الليث: البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر، وقيل: البصيرة الفطنة))[1]، و((يقال للجارحة الناظرة، وللقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر))[2]. وبصائرُ:جمع بَصيرة, ((بَصَرُ: حِسُّ العَيْنِ،: أبْصارٌ، بَصَرُ من القَلْبِ: نَظَرُهُ وخاطِرُهُ، بَصُرَ به وبَصِرَ بَصَراً وبَصارَةً وبِصارَةً: صارَ مُبْصِراً))[3].

ومن التعريفات اللغوية يتضح أنَّ المعنى اللغوي للبصيرة, البَصِيرة : قوة الإدراك والفطنة, والبَصِيرة العلم والخِبْرة. ويقال: فِراسَةٌ ذَاتُ بَصيرة: صَادقة. وفَعَلَ ذلك عن بصيرة: عن عقيدة ورأي, والبَصِيرة الحُجَّة.

أمّا إصطلاحاً: فالبصيرة هي ((ادراك الحقائق واشراف القلب عليها))[4].

وعلى هذا فالبصيرة ترتبط بكشف الحقيقية وعلم الباطن، وتعدُّ من الضرورات التي لا يمكن أنَّ يتخلى عنها الفرد الطالب للكمال والنجاة؛ لطي طريق الحق، وتكتسب أهميتها وضرورتها لكونها كاشفة عن الحقائق، فالبصيرة تختلف عن البصر إذ تتعلق بالنظر الباطني، ويطلق عليها البعض (العين البرزخية) والتي تكون فيها المعلومات حاضرة بأصلها، وليست تحصيلية مكتسبة فلا علاقة للخزين المعلوماتي لدى الفرد بتحصيلها، ولا علاقة للتحليل والبراهين للوصول للمعلومة، بضم المقدمات والخروج بنتائج لمعرفة الواقع وادراك الحقيقة[5].

مفهوم الاستعداد الذاتي لغةً واصطلاحاً

الذات لغةً: ((ذاتُ الشيء: حقيقتُه وخاصتُه, قُلْت: ومن هُنا أطْلقُوه على جناب الحق جل وعز؛ ومنعه الأكْثرُون, و قال اللَيْثُ: قولُهم: ذاتُ يده ذاتُ هُنا اسْم لما ملكتْ يداهُ كأنها تقعُ على الأمْوال, وعرفه من ذات نفْسه يعْني سريرته المُضْمرة, وقولهُ تعالى: ﴿بذات الصُّدُور﴾[6] أي بحقيقة القُلوب من المُضْمرات)) [7]

اختلف في بيان تعريف الذات هل هي النفس أو الروح أو العقل أو الشخص أو الأنا؟ يقول الجرجاني (ت 816 ه) : ((إنّ الذات هي النفس والشخص, يقال ذات الشيء نفسه وعينه, والنسبة إليه ذاتي, والذات أعم من الشخص, لأنَّ الذات, يطلق على الجسم وغيره, والشخص لا يطلق إلا على الجسم))[8] الجرجاني أراد من معنى الذات أنها النفس والشخص, ويقصد بالشخص أي جسمه .

وعرفها ابن عاشور(ت 1393 ه) بالنفس ((تُطْلقُ النفْسُ على ذات الإنْسان))[9]

اما صاحب الميزان (ت 1402ه) فعرفها ((ذات: في الأصل مؤنث "ذا" بمعنى الصاحب من الألفاظ اللازمة للإضافة غير أنه كثر استعماله في نفس الشيء بمعنى ما به الشيء هو فيقال : ذات الإنسان أي ما به الإنسان إنسان , وذات زيد أي النفس الإنسانية الخاصة التي سميت بزيد))[10]. فتعريف الطباطبائي هو عبارة عن تأكيد لما قيل أنَّ الذات هي النفس.

البمبحث الأول : الاستعداد الذاتي (التهيئة النفسية والمعرفية).

إن الاستعداد الذاتي هو رحلة البحث عن أفضل نسخة من الذات، رحلة تبدأ من الداخل حيث تنقّ النفس ويزكى القلب، وتُبنى العادات التي تصلح بها حياة الفرد وتستقيم بها أحواله وفي عصرنا الحالي، يبحث الكثيرون عن الطرق والأساليب التي تساعدهم على النمو والتطور في مختلف جوانب حياتهم، ومع هذا لزخم المعرفي والثقافي، يبقى للقرآن الكريم والسنة النبوية مكانتهما العظيمة كمصدرين لا يُنضب عطاؤهما ولا تنتهي أسرارهما . [11]

إنّ عقليةّ الشخص الذي يوفقّ للاستبصار عقلية علمية ذاتية تتبع من داخله تّحاول باستمرار أنَّ تقف وقفة التأمل والتمحيص عند مرتكزاتها الفكريّة وأصولها العقائديةّ، لتستبدل أفكارها الخاطئة بالأفكار الصحيحة, وتحفزّ عقلها على الانعتاق من دوائر التبعية والتقليد الأعمى، لتستطيع عبر البحث المبني على القواعد العلميّة الرصّينة أنَّ تكونّ لنفسها عقيدة صادقة وأصول ومبادىء سليمة؛ لأنّ عقليةّ هكذا شخص تدرك بوضوح أهميةّ البحث في المجال العقائدي، وتدرك ما للعقيدة من صلة وثيقة بنشاط الإنسان الحيوي والعملي، وتعي أثر المعتقد على الإنسان نفسياً واجتماعياً وفكرياً[12].

وبهذه العقليّة يدرك هكذا شخص أنهّ ينبغي ((أن يقوم بدراسة دقيقة لأفكاره و موروثاته العقائديةّ، ولا يصلح له أنَّ يتغافل عنها أو يغضّ الطرف دونها، لئلا يسير على المسار الخاطىء وهو لا يشعر، ولئلا يستطيع الانتهازيون صرفه عن الحق وهو جاهل، ولئلا يتعلّق بأذيال فهم خاطىء، أو يقع في شباك فرقة ضالةّ، ولئلا يكون "إمعّة" في تصديق الأفكار والمعتقدات التي تعرض عليه))[13] .

فالتطوير الذاتي هو محور أساسي في حياة المسلم؛ فالإسلام دين يشجع على النمو والتحسين المستمر، سواء في الجانب الروحي أو العقلي أو السلوكي, وقد جاءت الكثير من الآيات والأحاديث التي تدعو الإنسان إلى استثمار وقته وطاقاته في سبيل الإرتقاء بنفسه وتحقيق أهدافه بطرق ترضي الله عزّ وجلّ. يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[14] تُؤكد الآية الكريمة على سنة إلهية عظيمة؛ وهي أن الله تبارك وتعالى لا يرفع نعمةً أو يغير حال قومٍ من العافية والخير إلى النقمة والشر، حتى يبادروا هم بتغيير ما بأنفسهم من الطاعة إلى المعصية، أو العكس, فالآية تعبر عن قانون إلهي جارٍ ونظام حتمي في حياة المجتمعات والأمم, فالله سبحانه وتعالى يعامل العباد بحسب ما تقتضيه

أحوالهم وأفعالهم الباطنة والظاهرة, وارتباط السبب بالنتيجة نتيجة التغيير الذي يقع من الله سبحانه وتعالى (سواء كان عقاباً ونزعاً للنعم، أو رحمةً وتوفيقاً) هو نتيجةٌ حتمية واستجابةٌ للتغيير الذي يحدثه الإنسان في نفسه ومجتمعه من الكفر أو الإيمان، والشكر أو الجحود.[15]

ويربط التفسير بين هذه الآية وبين العدل الالهي المطلق؛ فالله لا يظلم الناس شيئاً، ولكنهم يظلمون أنفسهم بتغيير مسارهم من الهداية إلى الضلال، مما يستوجب رفع النعمة عنهم.

إن التطوير الذاتي في الإسلام يهتم بجوانب الروح والقيم؛ فهو يسعى لتحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والمادية، وتربية النفس على القيم النبيلة مثل الصدق، والصبر، والرحمة، والتواضع, في حين قد تركز التنمية الذاتية الحديثة على الإنجازات المادية أو الفوائد الشخصية فقط[16], وعن طريق التطور الذاتي يسعى الإسلام ((لتحقيق الهدف الأسمى في الإسلام، والهدف من التطوير الذاتي ليس فقط تحقيق إنجازات دنيوية، بل يشمل السعي لتحقيق رضا الله تعالى، وبناء مجتمع صالح, فعن طريق بناء الفرد لنفسه، يسهم في بناء أسرته ومجتمعه، مما يجعله عنصرًا إيجابيًا يسهم في الصالح العام)) [17].

والإسلام يدعو إلى التطور والتوازن وعدم الإفراط أو التفريط؛ فالتركيز على النجاح المادي فقطُيعد تقصيرا في حق النفس، في حين أن التركيز على الجوانب الروحية فقط مع إهمال مسؤوليات الحياة الدنياُيعد قصورا. يقول الله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[18].

فالآية المباركة عدة معانٍ عظيمة لتوضيح هذه الآية: ((أي اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والرزق وجه الآخرة، وذلك بأن تنفقها في أبواب الخير والبر وسبيل الله, وقولهَ﴿ **وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ اختلف المفسرون في معناها،العمل للآخرة, وهو قول أكثر المفسرين، ومعناه ألا يغفل الإنسان عن العمل لآخرته وهو في هذه الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، وحقيقة حظك ونصيبك من الدنيا هو ما تقدمه لينجيك من العقاب, واستغلال النعم في الطاعة)). [19]

رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في معناها قوله: ((لا تنسَ صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب بها الآخرة))(20).الاستمتاع المباح, وقيل أيضاً: ((كان المراد أنه كان ممسكاً شحيحاً (متقشفاً مبالغاً فيه) فقيل له: كل واشرب وتمتع بما أباحه الله لك، فإن ذلك غير محظور.وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ: أي كما تفضل الله عليك بالنعم، فأفضل على الناس وأحسن إليهم(.)).[21]

ومن الاستعداد الذاتي للفرد هو الإيمان بالله تعالى هو الأساس الذيُبنى عليه كل تطور شخصي حقيقي, فالإيمان لا يقتصر على الاعتقاد القلبي فحسب، بل يتعداه ليشمل الأفعال والمواقف التي تُظهر هذا الإيمان في الحياة اليومية, إن الشخصُ المؤمن يسعى باستمرار لتطوير ذاته؛ لأنه يعتقد أن كل ما يقوم به هو جزء من عبوديته لله عزّ وجلّ, كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ من أحسنَ عملاً**﴾ .[22]

ففي تفسير الأمثل تتجلى المعاني والدلالات التالية :

1 - الإسلام يعتني بالكيف لا بالكم: وتشير الآية إلى (إحسان العمل) وإتقانه بدلاً من الإكثار منه دون جودة, المهم هو الإخلاص في النية، وأن يكون العمل نافعاً خالصاً لوجه الله، حتى وإن كان محدوداً, والإصابة في العمل, جاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام) حول قوله ﴿ **أحسن عملاً**﴾ أي: ((أصوبكم عملاً)) ، [23]

2 - الإصابة في العمل : تعني خشية الله والنية الصادقة المقترنة بالعمل، فالحفاظ على العمل حتى يخلص أصعب من العمل نفسه.

3- الضمان الإلهي, وتعطي الآية تأكيداً قاطعاً لا يقبل الشك (بأداة التوكيد "إنّ" وتكرارها) بأن الله سبحانه وتعالى لا يبخس الناس أشياءهم، ولا يضيع مثقال ذرة من عمل صالح، بل يحفظه ويضاعف أجر فاعله.[24]

الأعمال الصالحة التي تنبع من إيمان قوي تساهم في تحسين الشخصية وتقويتها, فالمؤمن دائما يسعىُ لتحقيق الأفضل في جميع جوانب حياته، من العبادات إلى المعاملات مع الآخرين, إن قوة الإيمان في قلب المسلم تحفزه على الصبر والاحتساب، وتجعله يتحمل التحديات والصعاب بثبات وثقة.

من أهم المفاهيم التي يعززها الإيمان في النفس البشرية هو مفهوم التوكل على الله, والتوكل لا يعني الاتكال بل هو الثقة الكاملة في الله مع بذل الجهد والسعي, قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[25] ((التوكل على الله يعطي الإنسان القوة والطمأنينة، إذ يدرك أن الله هو المسؤول عن تحديد مصيره وأن السعي والعمل هما الأساس)) [26] أما كيف يعين الإيمان على تجاوز التحديات الإيمان هو القوة الداخلية التي تُمكن المسلم من مواجهة التحديات والصعوبات, المؤمن يعلم أن كل اختبار في الحياة هو فرصة لتقوية إيمانه وزيادة تقربه إلى الله , في أوقات الشدة، يتأمل المؤمن في حكم الله ورؤيته العميقة وراء الابتلاءات ، ويأخذ منها دروسا في الصبر والمثابرة , قصص الصحابة (رضي الله عنهم) خير مثال على كيفية مواجهة التحديات بالإيمان, في غزوة أحد، رغم الهزيمة الظاهرة، ظل الصحابة متمسكين بإيمانهم وكانوا أكثر إصرارا على المضي قدمًا في سبيل الله , قال الله تعالى : ﴿**لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[27] ((الوهن هو الضعف في خلق أو خلق على

ما ذكره الراغب والمراد به هنا ضعفهم من حيث العزيمة والاهتمام على اقامة الدين وقتال أعدائه والحزن خلاف الفرح وإنما يعرض الإنسان بفقده شيئاً يملكه مما يحبه أو أمراً يقدر نفسه مالكة له))[28].

إنّ الإيمان الصادق يدفع المسلم لتحقيق التفوق في جميع مجالات حياته, عندما يضع المسلم نصب عينيه رضا الله في كل عمل، يتحول كل هدف إلى عبادة, والإيمان يجعل المسلم يسعى لتحقيق أفضل نسخة من نفسه، مما يساعده في بناء شخصيته وتقوية قدراته.

ويطلق علماء النفس مصطلح الذات ويريدون به النفس البشرية، ومن ثم نشأ مصطلح الوعي بالذات للدلالة على معرفة الإنسان لذاته، وقد لقيت دراسة هذا المفهوم صعوبات شتى على مستوين: المستوى التصوري للمفهوم؛ وذلك لغياب المحددات والتصورات الكلية للنفس البشرية، والاعتماد على التنظريات الفلسفية كمنطلق نظري لفهم مكنون النفس، وهذا ما ألجأ الباحثين في المجال النفسي إلى المستوى الثاني وهو المستوى التجريبي لمحاولة بلورة الوعي الذاتي إلا أن دائرة الجدل اتسعت جراء التباين في المنطلقات الأولية في النظرة للنفس البشرية، وإمكان الوعي بها، والمؤشرات الدالة على محتواها، وتحديد مركزيتها بالنظر إلى تأثير المجتمع والبيئة المحيطة بها [29].

وتبرز الشمولية القرآنية في النظرة للذات الإنسانية بأبعاد شتى، كالبعد الروحي والنفسي والعقلي والجسدي والاجتماعي، والموازنة بين العقل والعاطفة، والروح والنفس، وهذا من شأنه أنَّ يلفت الانتباه لكل هذه الجوانب عند السعي إلى تحقيق الوعي الذاتي الذي لا ينفك عنها جميعا, كما أنَّ هذه الشمولية فتحت المجال لتوظيف الجوانب العلاجية النفسية التطبيقية متعددة الأشكال ضمن ما يصب في مصلحة الإنسان؛ مالم تتعارض مع الثوابت المحكمات، وهذا أكسبها المرونة في التعاطي مع مستجدات العلوم المعاصرة [30].

ويمتاز مفهوم الاستعداد الذاتي في الإسلام عمومًا وفي الطرح القرآني على وجه الخصوص بالتركيز على الغاية منه، واعتباره وسيلة يليها تراتبية من الغايات الموصلة للغاية الكبرى وهي العبودية، وهذا بدوره يساعد الإنسان على بلوغ مراده لوجود غاية ينشدها، ومحددات تقنن له الطريق، وتسهل عليه إعادة التموضع حين يزيغ عن الصراط المستقيم[31].

في حين أنّ مدارس علم النفس ركزت على الماهية لتحديد جوهر الإنسان، وجعله غاية بذاته، كما ركزت على الجانب التطبيقي لإجاد تقنيات عملية تساعد الفرد في فهم ذاته، وفي هذه الجزئية حققت تقدمًا لا ينكر، ومنها تم توظيف الفلسفات الإنسانية إلى مناذج تطبيقية كاستعمال الجدل السقراطي، وتقنيات العلاج السلوكي المعرفي، وغيرها من الجوانب الفنية[32].

يمكن تقسيم الاستعداد الذاتي إلى عدة محاور رئيسية:

أولا: الاستعدادات القَلبية (التهيئة الداخلية)

التهيئة الداخلية (الاستعدادات القلبية) هي مجموعة الإجراءات والتدابير الاستباقية، الفكرية واللوجستية والنفسية، التي تتخذ قبل البدء بأي مهمة أو مشروع جديد (مثل بدء العام الدراسي، دخول سوق العمل، تطبيق برنامج للتدقيق الداخلي، أو بدء الأنشطة الرياضية) لضمان تحقيق أفضل النتائج الممكنة, ويجب أنَّ يصاحب هذه الاستعدادات القلبية اقبال بنية صادقة على اجراء العمل الموكل اليه , ويجب أنَّ يتمتع الشخص بالتهيئة النفسية: وتتضمن الاستعداد الذهني، التخلص من التوتر، تحديد الأهداف الشخصية والمهنية، وبناء الدافعية, ويكون لديه تجهيز المعرفي والمهاري وهذا يشمل مراجعة المتطلبات الأساسية، اكتساب المهارات اللازمة للمرحلة القادمة، والبحث والقراءة الاستباقية.التهيئة التنظيمية والبيئية: ترتيب بيئة العمل أو الدراسة، وضع خطة عمل، وإدارة الوقت لضمان سير الأمور بسلاسة [33].

يجب أن يكون الإقبال بنية صادقة, واستحضار القلب لمعرفة مراد الله عز وجل، والتجرد للحق كما في قوله تعالى : ﴿ **لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[34].تعليل متعلق بقوله : ﴿**وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ**﴾ [35] والمعنى ولم نعلمه الشعر لينذر بالقرآن المنزه من أن يكون شعرا من كان حيا « إلخ » أو متعلق بقوله : « إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ » إلخ والمعنى ليس ما يتلوه على الناس إلا ذكرا وقرآنا مبينا نزلناه إليه لينذر من كان حيا « إلخ » ومآل الوجهين واحد, والآية كما ترى , تعد غاية إرسال الرسول وإنزال القرآن إنذار من كان حيا ـ وهو كناية عن كونه يعقل الحق ويسمعه, وحقيقة القول ووجوبه على الكافرين فمحاذاة الآية لما في صدر السورة من الآيات في هذا المعنى ظاهر[36] .

فالآية الكريمة ﴿**لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا**﴾((أي حي القلب ، قال قتادة . الضحاك : عاقلا, وقيل: المعنى لتنذر من كان مؤمنا في علم الله , هذا على قراءة التاء خطابا للنبي (عليه السلام)، وهي قراءة نافع وابن عامر, وقرأ الباقون بالياء على معنى لينذر الله ـ عزّ وجلّ ـ ، أو لينذر محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، أو لينذر القرآن, وروي عن ابن السميقع " لينذر " بفتح الياء والذال, ويحق القول على الكافرين أي وتجب الحجة بالقرآن على الكفرة))[37].

"يُشير الاستبصار في سياقه الديني والعقائدي إلى التحوّل المذهبي الواعي والاهتداء إلى حقيقة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بعد البحث والتمحيص. يتطلب هذا التحوّل من "المستبصر" استعداداً ذاتياً وعقلياً ونفسياً متكاملاً؛ نظراً لما يواجهه من تحديات.

ثانياً: قاعدة التخلية والتحلية

إن قاعدة التخلية والتحلية هي قاعدة تربوية وإيمانية عظيمة في القرآن؛ فالتخلية هي تطهير القلب من الشرك والذنوب، والتحلية هي تزيينه بالإيمان والعمل الصالح. والقاعدة الأساسية هي أن التخلية (التطهير) تسبق التحلية (التعمير)؛ فلا يمكن غرس الفضائل في قلبٍ مليء بالرذائل[38] .

خلق الله سبحانه وتعالى النّفس البشرية وجبلها على المعصية والخطأ والنسيان والذنب ولندم والتوبة والإنابة، وهو كذلك ما بين طاعة وذنب ومجاهدة وزلة وخطأ ونسيان وهداية ورشاد ورجاء ودعاء يقضي حياته سائراً إلى الله تقيله العثرة ثم تقيمُه الصّحوة واليقظة, فلا يُتَصوّر أن تتابع مراحل التخلية ثم التحلية وصولاً للتجلية بهذا الشكل المجرّد دون تمازج بين المراحل الثلاث وتداخلها وتأثير بعضها في بعض[39].

وتمثل قاعدة التخلية (التطهير من الرذائل) والتحلية (التحلي بالفضائل) منهجاً قرآنياً عظيماً. من أجمع الآيات التي تشير بوضوح إلى هاتين المرحلتين:قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾**[40].

فالآية الكريمة ((أن الله تعالى يمتنّ على عباده ويُذكّرهم بنعمه، ويوضح المعاني التالية:اللِّبَاس: هو ما يُستر به البدن وتوارى به العورات، وذكره "بالإنزال" لكونه من خلق الله ورزقه، أو لكون أسبابه تنزل من السماء.الرِّيش: هو اللباس الذي يُتخذ للجمال والزينة، وقيل في معناه: هو ما يتجمّل به الإنسان ظاهراً من الثياب، أو المال، وسمّي "ريشاً" تشبيهاً بريش الطائر لبهجته.لِبَاسُ التَّقْوَىٰ: هو الأعمال الصالحة، والطاعة، وستر العيوب بالإيمان، وهو لباس القلب والروح, ذَٰلِكَ خَيْرٌ أي أن لباس التقوى والعمل بطاعة الله هو الأفضل والأبقى عند الله، مقارنةً باللباس الظاهري الذي يبلى))[41]. وهذا يعني أن (اللباس) بأنه ما يلبسه الناس لستر عوراتهم (السوءات).وأما (وَرِيشًا) الريش هو ما يُتَجَمَّلُ به من اللباس والنعيم، أو المال **﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾** اختلف القراء بين رفع كلمة (لباسُ) ونصبها (لباسَ) ورجح الطبري المعنى القائل إن (لباس التقوى) والمتمثل في الإيمان والعمل الصالح والهدى والاستبصاروالتقوى، هو خير للعبد من اللباس الحسي, ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ: أي أن ما مَنَّ الله به على عباده من هذه الأنعام والملابس هو من الأدلة والحجج على وحدانيته ورحمته بهم[42] .

ثالثاً : التحلّي بالرؤية الشموليةّ:

يتطلب الاستعداد الذاتي للمستبصر أنّ يتحلّي بالرؤية الشموليةّ, وأنّ يكون منسجماً مع ذاته وهي أنّ يتوجّه المستبصر في القضايا العقائديةّ توجهًا شًاملاً وغير مجزء بحًيث يتناولها من جميع جوانبها الفكرية والاعتقادية ويلحظ جميع ما يرتبط بها، لأن تقصي المعطيات والاحاطة بكل ما له صلة بموضوع البحث من شأنه ان يتيح للباحث القدرة على أداء عمليات التحليل والنقد والتفسير في نطاق واسع وشامل، وبهذا يتمكّن الباحث من كشف الحقيقة بصورة كاملة[43].

ومن أهم السبل للحصول على الشموليّة في الرؤية العقائديةّ هي الوقوف على مختلف الاتجّاهات المذهبيةّ والانفتاح على الأفكار والرؤى المختلفة، وتحليلها ومعرفة أدلّتها وتبيين إيجابياّتها وسلبياتها، لأن ذلك يتيح للمستبصر أن يوسعّ دائرة معارفه عن طريق تعرّفه على الرأي الآخر, وهذا ما توجّه إليه إدريس الحسيني خلال رحلته المضنية في البحث عن الحقيقة، إذ أنهّ يقول: ((وأنّه لجدير أن أكشف عن مدى الفجاجة التي لمستها في كل المذاهب التي انفتحت عليها، لقد قادني التفكير إلى مراجعة كل معتقداتي))[44].

فعلى هذا، لا سبيل لمعرفة الحقّ إلا عن طريق البحث الشمولي الذي يفتح أمام بصيرة الإنسان آفاقا رًحبة تعيُنه على غربلة عتقداته وتمييز الصحيح منها عن السقيم, أمّا الذّين اقتصرت رؤيتهم على ما توارثوه من معتقدات، فهم على غير بينةّ من أمر دينهم، وعليهم أن يلموآ بما لدى الآخرين من المذاهب الإسلاميّة، ليكون انتماؤهم المذهبي عن وعي وقناعة وحجةّ وبرهان, وهذا ما قام به أغلبيّة المستبصرين إذ أنهّم أحاطوا بصورة إجماليةّ على آراء المذاهب الإسلامية، ثم اتّخذوّا قرارهم النهائي عن وعي فيما يخصّ انتمائهم المذهبي[45].

وفي هذا الصعيد ينبغي لكلّ مستبصر أنَّ يكون لديه استعداد ذاتي للتعرفّ على عقائد وأفكار باقي المدارس الفكريةّ والمذاهب الإسلامية الاخرى من حيث العقيد والافكار، أنَّ يعي بان أفضل السبل لمعرفة آراء الآخر ومعتقداته هي أقواله وتصريحاته، وعليه أن يتحرى بنفسه ويطّلع عليها من مصادرها المعتبرة والمعتمدة والموثوقة عندهم، لا من كتب ومصادر غيرهم أو ما كتبه عنهم خصومهم؛ لأنّ الخصم قد يكون جاهلا متطفلّا، فيحرف الواقع عن غير قصد، أو قد يكون حاقدا مُتحاملا يفتري بقصد التنكيل و التشهير، أو قد يكون متطرّفا يلجأ إلى المغالطات في تقييمه دون علم ودراية، أو قد يكون خائنا مستأجرا مَن قبل الأيادي الأثيمة، فيكذب ويدسّ بقصد التفرقة وإيقاظ الفتنة[46] .

وهذا ما يتحتّم مراعاته عند دراسة مذهب التشيعّ، لأن هذا المذهب قد تعرضّ للهجمات الشرسة من قبل السلطات الحاكمة على مرّ العصور، وقد استغل الحاقدون ذلك من أجل الكيد بهذا المذهب والوقيعة به على غير دليل وبرهان، وقد نسُب إلى هذا المذهب الكثير من الأفكار والرؤى التي هو بريء منها.

فلهذا ليس من الحقّ والانصاف أن يدُان مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بما ينسبه إليه غيره، أو بما يقوله الشواذ الذّين لا وزن لكلمتهم، بل الصحيح أن يقوم المستبصر بمطالعة كتب الشيعة المعتبرة بنفسه، ليتعرّف بصورة مباشرة على ما هو متفّق عليه عند علمائهم، أو ما هو متعارف عليه عندهم [47] .

وإلاّ فمن المؤسف أنَّ نجد باحثين ومحققّين يقومون بإدانة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وهم ممن قد خفي عليهم أصول ومبادىء وفكر هذا المذهب، وقد اكتفوا بما قيل عن هذا المذهب، ولم يبادروا للتعرّف عليه من كتبه المعتبرة, ولهذا دعى الهاشمي بن علي بعد استبصاره أن يتعرّف الباحثون على التراث الشيعي من كتبهم أنفسهم، فقال: ((وصيّتي لكل قارىء حر عنده عقل يميز به الحق من الباطل، أن يقرأ عن الشيعة والتشيع من كتب أهل الشيعة أنفسهم)) [48] .

واكّد هذا المستبصر على هذا الأمر في موضع آخر من كتابه قائلاً: ((النّاسُ أعدْاء مُا جهلوا))(49).

ويذكر المستبصر بقوله:((وأنا من موقعي هذا أدعو كل إنسان حرّ أنَّ يطلّع على كتب الشيعة وعلى آرائهم دون واسطة)) [50].

رابعاً : تهيئة الذات لتغيير الانتماء المذهبي:

إنّ التحولّ المذهبي واجتياز مرحلة الاستبصار تتطلبّ علو الهمة والشجاعة في اتخاذّ القرار، والمستبصر هو الذي ينذر نفسه وأمواله وأهله في سبيل العقيدة الحقّة.

وفي الواقع أنّ المستبصر ((هو صاحب عزيمة لايصده شيء عن مواصلة رحلته إلى النور ولا يثنيه عنها المكائد المتلاحقة بعد ما يتّضح له الحق بوضوح، بل إن كافة الموانع التي تحاول أن تصده عّن تغيير انتمائه المذهبي لا تزيده إلا إصّرارا علىً الحقّ وعنادا للباطل ومجابهة للرأي العام الحاكم في بيئته، لأنهّ ممنّ لا تأخذه في الله لومة لأئم ولا يعبأ بما سينال من أذى من قبل الآخرين، فيوطّن نفسه لتحملّ الأذى صابرا مَحتسبا أجًره عند الله تعالى)) [51].

وعندما ينبلج نور الحق في قلب المستبصر، وعندما يتغذّى عقله بنفحات الهداية، يجد في قرارة نفسه قوةّ هائلة وهمةّ رفيعة وعزيمة راسخة تمنحه الصمود إزاء كافّة التيارّات والعقبات التي يعي أنهّا ستصده عن التوجه نحو التكامل والتسامي والارتقاء ونيل أهدافه المنشودة [52].

ويستمد المستبصر كل هذه القوّة من الأدلةّ والبراهين التي رفعت مستوى وعيه وفتحت آفاق ذهنه، فيغدو قادرا عَلى اقتحام التيّار الاجتماعي السائد وقادرا على الصمود والتحديّ دفاعا عَّن القناعات التي استمدهاّ من الأدلة وّالحجج والبراهين, وبعبارة أخرى يوطّن المستبصر نفسه للصمود إزاء جميع الهجمات التي ستنهال عليه، ويستمد قوةّ هذا الصمود إزاء هذه التيّارات المضادةّ من القوة الإيمانيةّ التي اكتسبها نتيجة تمسكهّ بمعارف أهل البيت (عليهم السلام). ويعدّ المستبصر عن طريق الاستعداد الذاتي نفسه بعد الوصول إلى بوآبة الاستبصار لتحملّ جميع العناء الذي سيحيطه نتيجة القرار المذهبي الجديد الذي سيتّخذه عن قريب, وتكون القيم التي يحملها في جنبه هي الدعامة التي تمنحه الصمود والوقوف بوجه كافةّ الجهات التي ستحاول أن تزل قدمه عن الصراط المستقيم[53].

ويعلم المستبصر أنّه سيفقد جميع الامتيازات التي كان يمتلكها، ويعلم أنّ الإعلان عن استبصاره سيؤديّ به إلى صراع مرير مع علماء مذهبه، ولكنّه لايبال بكل هذه العقبات بعد أن أشرقت روحه بنور الحق، فيتوكلّ على الله ويطرح كل العواطف التي تشدّه إلى الوراء جانباً، ثم يتقدم لاعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بثبات وعزم راسخ وارإدة لا تصمد أمامها الجبال, وفيما يلي سنبحث كيفيّة تخطيّ المستبصرين لهذه المرحلة والمنعطف الحساسّ الذي يحدث في حياة المستبصر[54].

مرحلة اتّخاذ القرار:

عندما يتّخذ المستبصر القرار بإعتناق مذهب أهل البيت(عليهم السلام) فيكون قد اكتمل الاستعداد الذاتي لدية وفي داخل نفسه, ويكسر بذلك حاجز التردّد في نفسه وينهي الصراع القائم في داخله بين نداء الحقّ وبين وساوس الباطل، وينهي بذلك الأزمة التي كان يعاني منها فيستقرّ رأيه على اعتناق مذهب التشيّع.

فيشعر المستبصر بعدها بهدوء وسكينة واستقرار نفسي في وجوده، ثمّ يعزم أن يمضي حياته ثابت الجنان، مطمئن القلب، مستنير العقل لا تحرّكه العواطف ولا تتلاعب بمشاعره كافةّ المضايقات التي سيواجهها فيما بعد. وأبرز ما يحتاج إليه الباحث في هذه المرحلة هو التحلّي بروح الشجاعة، ولهذا يقول إدريس الحسيني: ((يجب أن نتحلّى بروح شجاعة، جريئة أي بنفسيةّ مهذبةّ سليمة غير متشنجةّ، تقتضي التضحية ببعض التقديسات التي هي في الأصل عين الأزمة)) [55].

ويقول هذا المستبصر في مكان آخر من كتابه (لقد شيّعني الحسين) (عليه السلام)حول العامل الذي منحه القوةّ في اتخّاذ القرار بعد أن تبيّن له الحق: ((لقد بقيت زماناً طويلا أربيّ نفسي على شيء واحد، أن أكون شجاعا، أن أكسب نفَسية قوّية لاّ تتأثر بمّسبقاتها, وانها, لعمري أخطر ممارسة واجهتها، لأنّ مجتمعا بكامله وبكل ثقله العرفي والثقافي والبشري كان ضد اّتجاهّي هذا، غير أن الدعاء والتصميم والتفاني جعلني أتجاوز هذه المعوقات)) [56].

ويشير إدريس الحسيني أيضاً في هذا المجال إلى ملاحظة مهمةّ في مسألة الإنتقال المذهبي فيقول: ((أنا أتحدّث عن انتقال صعب من الناحية النفسيةّ والاجتماعيةّ و...، أما من الناحية العقلية، أستطيع أن أتحدث عن انتقال سهل)) [57].

ويقول حسين الرجاء حول تجربته في اتّخاذ القرار: ((بعدما تيقّنت بأحقيّة مذهب الأطهار من آل محمدّ عليهم الصلاة والسلام، اتخذّت قرارا لاً رجعة فيه مع علمي بأن ذلّك سيكون على حساب سمعتي وكرامتي ومصلحتي والتفاف الناس من حولي باعتباري شيخاً صوفياّ، فخيرتّ نفسي بين الدين والدنيا، فرأيت أنّ أحلاهما مرّ وأحر من الجمر، لكنني آليت على نفسي وأعلنت تشيعيّ بكلّ تقةّ))[58].

وفي المقابل قد يعيش بعض الباحثين في أجواء وظروف خاصّة تجعلهم لا يواجهون أيةّ صعوبة في اتخّاذ قرار التحولّ المذهبي، ومن هؤلاء أسعد وحيد القاسم حيث يقول: ((في الحقيقة لم يكن هذا القرار عندي صعباً أبداً، فأنا وبسبب خلفيتيّ الثقافية لم يكن قد سبق لي وان نظرت نظرة متطرفةّ للشيعة، فقد ربّيت نفسي من صغري في حلقات دروس (أجواء منفتحة وموضوعيةّ) حيث كان لهذا دور في عدم ترددّي ولو للحظة واحدة اثناء بحثي في قبول ما أراه حقّاً، ولم أفكرّ لحظة كيف سيكون رد فُعل أسرتي ومجتمعي، لأنّ المسألة هنا شخصيةّ جداً، وَلا اعتبار فيها سوى ما يراه العقل والمنطق، وعلى ذلك يحاسبنا الله سبحانه وتعالى، فلا الأسرة ولا القبيلة تشفع لأحد يوم الحساب)) [59] .

المطلب الثاني: التفاعل مع البصائر القرآنية (الاستجابة والتطبيق)

يركز البحث في هذا المطلب على كيفية تحول الآيات إلى "بصائر" تحرك سلوك الإنسان وفكره، البصائر في القرآن هي الأفكار والمفاهيم والمبادئ التي تمكننا من فهم الحقائق في الكون والتاريخ والمجتمع والحياة, ففي الكون، والتاريخ، والمجتمع، وحياة الآخـرة حقائق كبرية وهامة وواضحة، ولكنها على الرغم من وضوحها تخفى على الكثريين. كما أنَّ هناك حقائق رقيقة لا يدركها الا من آتاه الله نوراً من بصائر كتابه، ولا يمكن الوصول اليها الا من طريق الوحي[60].

أولاً": الحقيقة الواضحة للمستبصر

فمن الحقائق الواضحة التي تغيب عن الكثريين على الرغم من وضوحها هو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ [61] فهي تغيب عن اكثر الناس على رغم من أنَّ الناس جميعاً يعلمون أنَّ الإنسان في حالة تناقص دائم، ومع كل نقص خسارة الا أن يستثمر عمره فيام أحب الله ، ومع ذلك يخفى على الكثريين, وهـنـاك حقـائـق وقـوانـين في الـكـون والمجتمع والتاريخ، وفي الدنيا والآخرة لا يمكن الوصول إليها بالوسائل والمناهج العلمية المعروفة في الفيزياء والكيمياء, والرياضيات وعلم النبات وعلم الأحياء, والمصـدر الوحيد الـذي نستقي منه هذه المعارف هو(الوحي) ولوحجبنا عن الوحي لم يبق لنا سبيل إلى الوصول إلى هذه الحقائق[62].

ومـن ذلـك قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ۚ ﴾[63]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾[64], فقد يدرك الإنسان بعض هذه الحقائق بالتجربة، ولكنها لا تخضع للمناهج العلمية المعروفة في الرياضيات والعلوم التجريبية، ولا يمكن إثباتها بها. والأداة المفردة للوصول إلى هذه الحقائق هو الوحي, وهذه الآيات وغريها من بصائر القرآن من رقائق سنن الله تعالى في الغيب والشهود لا يعرفها الكثرون ممن أعرضوا عن بصائر القرآن[65] , وهذه البصائر كما ذكرنا تمّكن الإنسان من فهم حقائق الكون والتاريخ والمجتمع والحياة في الشهود والغيب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[66] فهي تشري إلى حقيقة كبرى في التاريخ والمجتمع وفي حياة الافراد في علاقة التقوى بنعم الله فإن التقوى تستنزل النعم، كما أنَّ العصيان تصد النعم, وبهذه البصرية نبصر العلاقة بين التقوى ورحمة الله تعالى على الناس.

ومن أمثلة هذه البصائر قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[67] والطائف من الشيطان هو الذي يطوف حول القلب ليلقي إليه الوسوسة أو وسوسته التي تطوف حول القلب لتقع فيه وتستقر عليه، و(مِنَ) بيانية على الأول، ونشوئية على الثاني، ومآل المعنيين مع ذلك واحد، والتذكر تفكر من الإنسان في أمور لتهديه إلى نتيجة مغفول عنها أو مجهولة قبله, والآية بمنزلة التعليل للأمر بالاستعاذة في الآية السابقة، والمعنى استعذ بالله عند نزغة الشيطان فإن هذا طريق المتقين فهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أن الله هو ربهم

الذي يملكهم ويربيهم يرجع إليه أمرهم فارجعوا إليه الأمر فكفاهم مؤونته، ودفع عنهم كيده، ورفع عنهم حجاب الغفلة فإذا هم مبصرون غير مضروب على أبصارهم بحجاب الغفلة[68] .

وفي هذه البصرية نتعلم كيف نطرد الشيطان عن أنفسنا بالتقوى, فمن يتقي الله تعالى لا يقتحم الشيطان قلبه وعقله ونفسه، وإنما يطوف حوله ليجد ثغرة ويتسلل منها إلى نفسه، فيتذكر الإنسان فجأة وفي وقت مبكر حضور الشيطان فيحذره، ويتعوذ منه، وكأنما التقوى تدفعه إلى الحذر والانتباه، فيتذكر ويتبصر فيتوارى عنه الشيطان.

ثانياً: الاستبصار والوعي: كيف تمنح آيات القرآن قارئها زاوية رؤية جديدة للأحداث (رؤية السنن الإلهية في الكون) , يرتبط الاستبصار والوعي بعلاقة تكاملية وثيقة، إذ يمثل الوعي الأساس الحسي والمعرفي لإدراك الذات والواقع، بينما يمثل الإستبصار القفزة الفكرية المفاجئة والعميقة التي تكشف الروابط الخفية وتفكك المشكلات المعقدة, وبدون الوعي، لن يمتلك العقل المواد الخام (المعلومات والخبرات) اللازمة لبناء أي فكرة, وبدون الاستبصار، ويظل الوعي عالقاً في معالجة تكرارية وروتينية دون الوصول إلى حلول إبداعية أو قفزات معرفية تغير نظرتنا للواقع.

وتتعدد الآيات القرآنية التي تحث على الإستبصار والوعي وإيقاظ البصير، ومن أبرزها قوله تعالى: **﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾** [69] ،((أي : هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر ، كما قال تعالى : **﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾**[70] . قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : **﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾** يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه , وقال قتادة : شاهد على نفسه . وفي رواية قال : إذا شئت - والله - رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه ، وكان يقال : إن في الإنجيل مكتوباً : يا ابن آدم ، تبصر القذاة في عين أخيك ، وتترك الجذل في عينك لا تبصره)) [71] .

ومن آيات البصيرة والاستبصار اليقين والمعرفة: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** [72].

تشير الآية الكريمة إلى ((أنَّ دعوة النبي والملتزمين بنهجه تقوم على اليقين والمعرفة والحجة القاطعة، وليست قائمة على التقليد الأعمى, قوله:**﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾**:قيل: معناه هذه الدعوة التي أدعو إليها هي ديني وطريقي وسنتي (عن مقاتل والجبائي), **﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾**:البصيرة هنا تعني الدعوة إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة، لا على وجه التقليد والتبعية غير الواعية. **﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾**:المعنى الأول: أدعوكم أنا، ويدعوكم أيضاً إليه كل من آمن بي، حيث يذكّر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله, والمعنى الثاني (عن ابن الأنباري وابن عباس): يجوز أن يتم الكلام عند ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾، ثم يبتدئ بقوله: **﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾**، والمراد هنا أن أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا على أحسن طريقة وأعلى درجات))[73].

ومعنى البصيرة في الآية الكريمة تعني العلم اليقيني، والمعرفة الحقيقية، والبرهان الواضح الذي يميز به الإنسان بين الحق والباطل, والعلم واليقين هو الدعوة إلى الله لا تقوم على الجهل أو الشك، بل على علم راسخ ويقين تام, والبرهان والوعي أدعو إلى الله بناءً على أدلة واضحة وحجج عقلية ونقلية قاطعة.رؤية القلب: البصر يكون للعين والرؤية الحسية، أما البصيرة فهي للقلب والعقل ونور الوعي.

ثالثاً: الاستجابة العاطفية والسلوكية: التأثر الوجداني بالوعد والوعيد، وترجمة هذا التأثر إلى عمل صالح وتغيير في الأخلاق, وتحول الفرد من مستهلك للبصائر إلى حامل لها ومبلغ لغيره.

والاستجابة العاطفية والسلوكية للمستبصرين الذين تبنوا منهج أهل البيت (عليهم السلام) تتمثل في الطمأنينة القلبية، والالتزام العملي بالتعاليم، والتوازن النفسي, والاستجابة العاطفية السكينة أنها شعور عميق بالراحة النفسية واليقين بعد فترة من الحيرة والبحث, والمحبة والولاء إذ تعلق قلبي برموز الهداية وأهل البيت (عليهم السلام) مصحوباً بالدفء الوجداني, والرضا وتقبل التكاليف الشرعية بروح منشرحة وشغف للتعلم الديني, والاستجابة السلوكية الالتزام العملي إذ يتم تطبيق العبادات والأحكام والأخلاق الإسلامية بسلاسة في الحياة اليومية, والثبات والتحدي ليتمكن من مواجهة الضغوط الاجتماعية أو الأسرية المحتملة بصبر وحكمة, ونشر المعرفة التي تساعد على توجيه السلوك نحو الدعوة الهادئة بالحسنى وتعريف الآخرين بما توصلوا إليه من حقائق[74], يدل القرآن الكريم في مواضع عديدة على أنَّ الإستبصار (وهو الإدراك العميق، ووعي الحقائق، وانكشاف الرؤية الإيمانية والنفسية) لا يقف عند حدود المعرفة الذهنية المجردة، بل تتبعه فوراً استجابات عاطفية وسلوكية تتجلى في الوجدان والممارسة العملية.

وتظهر هذه الآيات كيف يتأثر القلب والمشاعر فور حدوث الاستبصار وانكشاف الحقائق, والبكاء والخشوع من الفرح بالحق, قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾**[75] فالاستبصار هنا تمثل في "معرفة الحق"، وجاءت الاستجابة العاطفية الفورية متمثلة في فيضان الدموع.

فالآية الكريمة **﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾**: أي إذا استمع هؤلاء (الموصوفون برقة القلوب من القسيسين والرهبان) إلى القرآن الذي أُنزل على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم). **﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾**: تسيل دموعهم بكثرة بغزارة, والفيض في اللغة هو امتلاء الإناء حتى يتدفق من جوانبه [76] ووصف الأعين هنا بالفيض هو مبالغة في شدة بكائهم وتأثرهم. **﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾**: لمعرفتهم ويقينهم بأن هذا

الكلام المتلو عليهم هو كلام الله الحقيقي، وموافق لما جاء في كتبهم من صفات النبي (صلى الله عليه واله وسلم) .**﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾**: أي صدّقنا بأن هذا القرآن هو كتابك المنزّل على نبيك. **﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾**: ذكر الطبرسي في تفسيرها ثلاثة أقوال:اجعلنا مع محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأمته الذين يشهدون بالحق والتبليغ يوم القيامة (عن ابن عباس).اجعلنا مع الذين يشهدون بالإيمان ويقرّون به (عن الحسن).اجعلنا مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك (عن الجبائي)[77] .

وأما القشعريرة واللين والسكينة, ورد في قوله تعالى: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾**[78]. يعكس النص الانتقال من صدمة الوعي والخشية (القشعريرة) إلى الطمأنينة العاطفية (لين القلوب).

من أوصاف القرآن الكريم اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ, والمقصود بالحديث هنا هو القول, ووُصف القرآن بأنه **﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾** لأنه يشتمل على محض الحق والصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, وقوله :**﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾** يعني أن أجزاءه وآياته تشبه بعضها بعضاً في النظم والجمال، وفي تصديق بعضها لبعض, وأنَّ هذا (التشابه) هو صفة للكتاب كله من حيث الانسجام والترابط، وليس المقصود به (المتشابه) الذي يقابل المحكم في آيات الأحكام, ومَثَانِيَ: جمع "مثنية" بمعنى المعطوف. ويدل على انعطاف آيات القرآن بعضها على بعض؛ بحيث يفسّر بعضها بعضاً، ويُبين بعضها الآخر عند التدبر, أما أثر القرآن في نفوس الخاشعين **﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾**, والقشعريرة هي حالة من الخوف والاضطراب تصيب الجسد عند استشعار عظمة الوعيد والإنذار الإلهي، والآيات التي تصف جلال الله وعذابه لمن عصاه, **﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ ﴾**إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ, بعد حالة الخوف والقشعريرة، تأتي حالة الطمأنينة والارتياح عند سماع آيات الرحمة والوعد والترغيب والمغفرة. فتلين الأجساد والقلوب وتسكن بذكر الله سبحانه[79].

الإستبصار في سياق هذه الآية الكريمة يعني الوصول إلى أعلى درجات الوعي، والتدبر العميق، وانفتاح بصيرة المؤمن لرؤية الحقائق الإلهية الكامنة في القرآن الكريم، مما يحدث تحولاً روحياً وجسدياً كاملاً لدى العبد.كلمة "الاستبصار" لم ترد صراحة بلفظها في الآية، ولكنها تمثل الحالة الإيمانية والعملية الناتجة عن تدبر هذه الأوصاف.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على من علم البشرية الطيبات، ونهاهم عن الخبائث والمنكرات، محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خاتم الرسل والرسالات , تم بحمد الله ومنته وعونه الانتهاء من هذا البحث وفي هذه الخاتمة أسجل النتائج ، التي توصلت إليها وهي:

1. يُقصد بالاستبصار في الأدبيات الإسلامية (خصوصاً الشيعية) انتقال الفرد من مذهب إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بعد البحث والقناعة. وتتمحور آراء المستبصرين حول رحلتهم وعقيدتهم الجديدة حول شعورهم بالطمأنينة القلبية، والوصول إلى اليقين العقدي بعد التمحيص، والتحرر من التقليد الأعمى.

2. إنّ الاستعداد الذاتي (الاستعداد النفسي والمعرفي والوجداني) نقطة الانطلاق الأساسية لتحقيق الاستبصار (فهم الذات وإدراك العلاقات العميقة للأمور) فالاستعداد يخلق "البيئة الخصبة" للوعي، بينما يمثل الاستبصار "النتيجة النهائية" المتمثلة في نضج الأفكار وحسن التصرف.

3. إن الاستعداد الذاتي هو القاعدة (القبول، المرونة، الرغبة في التعلم)، والاستبصار هو الثمرة (فهم الدوافع، حل العقد اللاواعية، الربط بين الأسباب والنتائج) , والاستعداد الذاتي للتغيير يحرر الفرد من التحيزات، مما يسمح بحدوث الاستبصار الذي يمنح نظرة موضوعية وحقيقية للنفس بعيداً عن الوهم.

4. يعد استبصار الذات جزءاً مهماً من شخصية الإنسان، و الركن الأساس في توجيه سلوكه سواء كان ذلك سبوك سوياً أم غير سوي , كما تتداخل الخبرات والتجارب والصراعات التي مرّ بها الأفراد بانتاج هذا السلوك إذ إن هذه الخصائص تحدد بشكل كبير الصورة الذاتية للأفراد سواء كانت هذه الصورة إيجابية يكون الأفراد فيها واثقين من قدراتهم و أفكارهم أو صورة سلبية يكونون فيها مترددين في أفعالهم وقدراتهم.

5 . 8. إنّ بتفاعل الاستعداد الذاتي مع البصائر القرآنية؛ عملية التلقي الفعّال التي يلتقي فيها "استعداد الإنسان الفطري والنفسي" مع "الأنوار والهدايات القرآنية"

الهوامش

1- لسان العرب, ابن منظور: ج2 / 94.

2- مفردات غريب القرآن, الراغب الأصفهاني: ص ٤٩.

3- القاموس المحيط , الفيروزآبادى :ص 218

4- التعريفات , الجرجاني ,ص 328 .

5- ينظر : تفسير البصائر , يعسوب الدين رستكار جوييباري:ج 1,ص 28 .

6- سورة الملك , الآية 13 .

7- تاج العروس , مرتضى الزبيدي: ج4 ,ص 432 .

8- ينظر : التعريفات, الجرجاني , ص 107 .

9- التحرير والتنوير ,ابن عاشور الطاهر: ج30 ,ص 14 .

10-الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج6,ص9.

11-ينظر : التطور الذاني في ضوء القرآن والسنة , فهد حسن بازمول , ص5.

12- ينظر : التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص11.

13-المصدر نفسه , ص12.

14-سورة الرعد , الآية 11.

15-ينظر : الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج13, ص23.

16-ينظر : التطور الذاني في ضوء القرآن والسنة , فهد حسن بازمول , ص 9 .

17-المصدر نفسه , ص10.

18-سورة القصص , الآية 77.

19-مجمع البيان , الطبرسي , ج4, ص329 .

20-بحار الانوار , المجلسي , ج 71، ص 177.

21-مجمع البيان , الطبرسي , ج 7, ص121 .

22-سورة الكهف , الآية 30 .

23-الكافي , للشيخ الكليني , ج 2، ص 16.

24-ينظر : الامثل , الشيرازي , ناصر مكارم , ج 8, ص 298 - 299.

25-سورة الطلاق , الآية 3 .

26-التطور الذاني في ضوء القرآن والسنة , فهد حسن بازمول ,ص 12 .

27-سورة ال عمران , الآية 139.

28-الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج3, ص43.

29-ينظر : بنية الوعي الذاتي في القرآن الكريم, فهد عائض فهد القحطاني, ص13.

30-ينظر: من أسرار النفس البشرية في ضوء البلاغة القرآنية، أحمد، عبير، متولي، عوض سيد , جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية، 2017, ج2,ص213 .

31-ينظر : بنية الوعي الذاتي في القرآن الكريم, فهد عائض فهد القحطاني, ص 17 .

32-ينظر : من أسرار النفس البشرية في ضوء البلاغة القرآنية، أحمد، عبير، متولي، عوض سيد , ج2,ص214.

33-ينظر: المصدر نفسه , ج2, ص215.

34-سورة يس , الآية 70.

35-سورة يس , الآية 69.

36-الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج17 , ص109 .

37-الجامع لأحكام القرآن الكريم , القرطبي, ج4,ص128 .

38-ينظر : بنية الوعي الذاتي في القرآن الكريم, فهد عائض فهد القحطاني, ص20 .

39-ينظر : المصدر نفسه , ص20- 21 .

40-سورة الاعراف , الآية 26 .

41-جامع البيان لتأويل آي القرآن , الطبري , ج 8، ص153 .

42-ينظر : جامع البيان لتأويل آي القرآن , الطبري , ج8, ص154.

43- ينظر : ومن الحوار اكتشفت الحقيقة, هشام آل قطيط , ص 217 .

44-لقد شيّعني الحسين, إدريس الحسيني, ص 407 .

45-ينظر : التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص24 .

46-ينظر : ومن الحوار اكتشفت الحقيقة , هشام آل قطيط , ص 219, و التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص25 .

47-التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص25.

48-الصحابة في حجمهم الحقيقي , الهاشمي بن علي :ص 888 .

49-نهج البلاغة: 172 ، الكلمات القصار.

50-(الصحابة في حجمهم الحقيقي, الهاشمي بن علي :ص 12.

51-التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص255 .

52-ينظر : الصحابة في حجمهم الحقيقي, الهاشمي بن علي,ص 46 .

53-ينظر : ثم اهتديت, محمّد التيجاني السماوي, ص 68 - 69 .

54-ينظر : التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص256 .

55- لقد شيّعني الحسين, إدريس الحسيني, ص 357 .

56-لقد شيّعني الحسين, إدريس الحسيني, :ص 406.

57-مجلّة المنبر, العدد: 3 .

58-التحول المذهبي , علاء الحسّون, ص257 .

59-مجلّة المنبر, العدد: 3 .

60-ينظر : بصائر في صورة العصر, محمد مهدي الآصفي, ص79.

61-سورة العصر , الآية 2 .

62-ينظر : بصائر في صورة العصر, محمد مهدي الآصفي, ص81.

63- سورة الطلاق , الآية 2- 3 . .

64-سورة البقرة , الآية 152 .

65-ينظر : بصائر في صورة العصر, محمد مهدي الآصفي, ص82.

66-سورة الاعراف , الآية 96 .

67-سورة الاعراف , الآية 201 .

68-ينظر : الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج8 ,ص381 .

69-سورة القيامة , الآية 14.

70-سورة الإسراء , الآية 14 .

71-تفسير القرآن العظيم , ابن كثير , ج 4، ص 447 .

72-سورة يوسف, الآية 108 .

73-مجمع البيان في تفسير القرآن , الطبرسي , ج5,ص461.

74-ينظر : لماذا اخترت مذهب الشيعة, محمّد مرعي الانطاكي, :ص 61- 62 .

75-سورة المائدة , الآية 83.

76-المفردات , الراغب ,ص187.

77-ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن , الطبرسي , ج3,ص358.

78-سورة الزمر, الآية 23 .

79-ينظر : الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي , ج 17، ص 128.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الامثل في تفسير كتاب الله المنزل, ناصر مكارم الشيرازي, دار احياء التراث الاسلامي , بيروت , ط1, 1437ه .

بحار الانوار, المجلسي, محمد باقر (ت1111ه), مؤسسة جماعة المدرسين للطباعة والنشر, قم المقدسة , 1411ه.

بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817 ه) بتحقيق: محمد علي النجار، دار المكتبة الوطنية , بغداد , ط3, 1996 .

تاج العروس من جواهر القاموس, مرتضى الزبيدي,(ت 1205 ه), ط 1, دار الفكر , بيروت , 2005 م.

التحرير والتنوير ,ابن عاشور الطاهر, الدار التونسية, تونس, ط1, 2007 م .

التطور الذاني في ضوء القرآن والسنة , فهد حسن بازمول , دار المعرفة , بيروت , (د- ت)

التعريفات, الجرجاني الشريف علي بن الحسين ,د. ط, مكتبة لبنان, ساحة رياض الصلح ,بيروت, 1985 .

تفسير البصائر, يعسوب الدين رستكار جويباري, المطبعة الإسلامية ، ايران ، قم ، 1399هـ

تفسير القرآن العظيم , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية، بيروت,ط1، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

ثم اهتديت, محمد التيجاني السماوي, مؤسسّة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثانية 1417 ه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ), دار التربية والتراث , مكة المكرمة, ط2, 1422ه.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت: 671)،تحقيق: د عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1 ، 2006 م.

الصحابة في حجمهم الحقيقي, الهاشمي بن علي , مركز الأبحاث العقائدية, إيران - قم ط1, 1420ه.

القاموس المحيط , مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت , ط2، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

الكافي, الكليني, أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت 328 / 329 ه), صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي, دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي تهران - بازار سلطاني , ط3, 1388.

لسان العرب, ابن منظور, جمال الدين محمد بن مكرم (ت711ه) , دار صادر , بيروت , ط3, 1978.

لقد شيّعني الحسين (عليه السلام).. الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب; , إدريس الحسيني, دار النخيل للطباعة والنشر، بيروت , ط1, 1414 ه.

لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت (عليهم السلام); محمّد مرعي الأمين الإنطاكي تحقيق: عبد الكريم العقُيلي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط1, 1417ه .

مجمع البيان في تفسير القرآن , الطبرسي , ابي الحسن بن الفضل (ت 548ه), دار احياء التراث الاسلامي , قم المقدسة , ط3, 1414ه.

المفردات في غريب القرآن,أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط1, ١٤١٢ ه .

من أسرار النفس البشرية في ضوء البلاغة القرآنية، أحمد، عبير، متولي، عوض سيد , جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية، 2017.

الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي ,محمد حسين (ت 1402 ه) , ط 1, مؤسسة الاعلمي , بيروت, 1997 .

نهج البلاغة: 172 ، الكلمات القصار.

ومن الحوار اكتشفت الحقيقة , هشام آل قطيط , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1, 2013

البحوث والمجلات

بنية الوعي الذاتي في القرآن الكريم, فهد عائض فهد القحطاني, بحث منشور في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد (127) المجلد (12) يونيو 2025م.

مجلة المنبر العدد العاشر، ذي الحجة/ 1421 هـ .

مجلّة المنبر, (التاريخية): تأسست عام 1946 , القدس, العدد 8

الانترنت

التحول المذهبي , بحث تحليلي حول رحلة المستبصرين إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) , علاء الحسون مطر , بحث منشور على الرابط : تاريخ الزيارة 22/ 12/ 2025 /book/122/index.html/book_2014.03.05_05.05.01/عقائد////